تطور وسائل الاتصال الحديثة وانعكاساتها على قيم الشباب الأصيلة في المجتمعات العربية

-الجزائر أنموذجاً-

د.فاطنة بومدين د. محمود علالي
جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر

الملخص:

يصعب علينا القول أن منطقتنا العربية والإسلامية بعيدة عن العولمة وتجلياتها وذلك لأن العولمة أصبحت واقعا مفروضا لا نستطيع الفكاك منه، و خاصة بعد انتشار وسائل الاتصال الحديثة التي أصبحت بمثابة الينابيع الأساسية التي يرشف منها شبابنا قيم اجتماعية وعادات واتجاهات وأنماط سلوكية ايجابية وسلبية بسبب انبهاره بها وتقبله لها تحت غياب البديل، فحدث الانسلاخ عن عالم الواقع، وان استشعار خطرها على الجانب القيمي خاصة لدى الشباب أصبح هما عالميا يهدد الثقافات العالمية عموما ومجتمعاتنا العربية والإسلامية والجزائرية خصوصا .

لذا جاءت هذه الدراسة تهدف لإبراز طبيعة الأزمة الحالية، التي تعيشها مجتمعاتنا العربية والإسلامية والتي يمثل الشباب فيها أهم شرائح المجتمع، وإبراز مستوياتها بالمجتمع الجزائري في الوقت الراهن، ومن ثم العمل على إيجاد حلول لهذه الأزمة لاعتبارها هدف مجتمعي يحظى بالاهتمام العالمي والإقليمي.

الكلمات المفتاحية: الاتصال، وسائل الاتصال الحديثة، القيم، قيم الشباب الأصيلة.

***Abstract*:**

It is difficult to say that our Arab and Islamic region is far from globalization and its manifestations, because globalization has become an imposed reality that we cannot abandon, especially after the spread of the modern means of communication which have become the basic springs from which our young people shed social values , customs , attitudes , and patterns of positive and negative behaviour , because of their fascination and acceptance of it under the absence of alternative, has taken away from the world of reality, and sensing its danger on the value side, especially among young people are becoming global threats to global cultures in general and our Arab ،Islamic and Algerian societies in particular .

Therefore ،this study aims at highlighting the nature of the current crisis in our Arab and Islamic societies in which young people represent the most important segments of society, and highlighting its current levels in Algerian society and working towards solutions to this crisis as a societal goal of global and regional concern.

Keywords*: *Communication, The Modern Means Of Communication, Values, Values Of Young People

مقدمة:

يعد موضوع القيم من الموضوعات الهامة والحساسة، لكونه يمس بثقافة المجتمع وحضارته،خاصة وأن مجتمعنا العربي والإسلامي يمر بفترة حرجة من حياته تتسم باضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية واهتزاز القيم،هذه الأخيرة التي هي من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث، ولا سيما مع تنامي موجات العولمة

وما رافقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية، وما أحدثه ذلك من تأثير في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام والنسق القيمي بشكل خاص .

والمتتبع لما يحدث في عالمنا اليوم يجد أنه يمر بمرحلة جديدة وهي مرحلة ما بعد الحداثة، والتي من أبرز معالمها ظاهرة العولمة ، و ما رافقها من تطور هائل في المجال المعرفي والمعلوماتي وفي مجال تكنولوجيا الاتصالات التي ساهمت في انكماش العالم زمانيا ومكانيا، مما دعا البعض إلى وصفه بالقرية الكونية، و كان من نتائج هذا التطور انحصار قيم وظهور قيم جديدة. فالعولمة كما يؤكد أحد الباحثين بالرغم من مظهرها الاقتصادي و السياسي إلا أن هدفها الأساسي هو التغيير في الجانب الاجتماعي و الثقافي للمجتمعات البشرية، بما في ذلك الهوية وأنماط العيش والقيم ، و للوهلة الأولى يبدو أن العولمة موجهة نحو مقاصد المال و الاستهلاك ، و لكن سلاحها الحقيقي في الواقع موجه نحو إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمه ودينه أكثر فأكثر، بل هي غزو ثقافي بأكمله لأنها موجهة لفكر الإنسان بفضل حيازتها على منظومة معرفية شاملة ومنتظمة ووسائل فاعلة لنشر هذه المعرفة ، حيث حملت عولمة الاقتصاد في طياتها إيديولوجية التنميط والاختراق الثقافي.

ونشير أن الاهتمام بفئة الشباب ضمن هذا الموضوع لكونها شريحة اجتماعية تشغل وضعا متميزا في بنية أي مجتمع من المجتمعات ، بل هم أكثر فئات المجتمع حركة ونشاطاً ومصدراً من مصادر التغيير الاجتماعي ، فهم المؤهلون للنهوض بمسؤولية بناء المجتمع، بالإضافة أن قيم الجيل الصاعد هي التي سيبنى عليها مستقبل المجتمع فكريا وعلميا. فالقيم تعد الضابط والمعيار الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى المسؤولية المشتركة في تعميق القيم وتنميتها لدى الشباب،لأن أزمة القيم نجدها أكثر حدة عند جيل الشباب الذي يعانى غموضاً في الهوية وضياعاً في الأهداف خاصة بعد الأزمات والهزات الاجتماعية والسياسية العميقة التي عصفت بالعالم المعاصر، أي أن الشباب يجدون أنفسهم اليوم موزعين بين أهداف وغايات متعددة وما تتطلبها من قيم متنوعة، مع الرغبة لبلوغ التكامل والوحدة كي يتهيأ له السلام مع النفس والعالم أجمع ، خاصة وأن شتى فئات الأمة العربية مستهدفة من قبل ثقافة العولمة و تأتي على رأس هذه الفئات المستهدفة فئة الشباب العربي.

وحسبما ذهب له العلامة "ابن خلدون" فان انتشار ثقافة العولمة لا يرجع لكونها أكثر إنسانية من غيرها ولكن لأنها ثقافة "الغالب"وانتشارها يرجع لان "المغلوب" مولع بثقافة الغالب في زيه وسائر عوائده. ونشير أن أبرز أذرع العولمة التي تستهدف تنميط ثقافة واقع المجتمعات البشرية على اختلاف مشاربها وإحلال الثقافة الغربية بقيمها ومعاييرها التي قد لا تتوافق والنظم الاجتماعية لهذه المجتمعات هي وسائل الاتصال الحديثة ، هذه الأخيرة ذات الأهمية الكبيرة والخطورة الجسيمة، لأنها ثنائية الأثر- أي سلاح ذو حدين -فيمكنها أن تستخدم كوسائل للارتقاء بالإنسان إيمانيًا وأخلاقيًا وثقافيًا واجتماعيًا، ويمكن أن تكون معاول هدم للأخلاق وإفسادٍ للنفوس وتلويث للثقافة وإثارة للشبهات والشهوات.ومن أخطر وسائل الاتصال الحديثة الهواتف الذكية وشبكة الانترنت وما تحتويه من تقنيات للتواصل الاجتماعي ولعل أشهرها وأكثرها استعمالا "الفايس بوك"*. فهذه الوسائل قد أحدثت طفرة عظيمة في عالم الاتصال والإعلام والبحث بما اشتملت عليه من مصادر معرفية تفوق الحصر، ومحركات بحث تساعد الإنسان في الوصول إلى ما يريد بسهولة، ومع كل ما قدمته من منافع فإنها حملت معها الكثير من الأخطار وذلك من خلال ما تحمله هذه الشبكة من أفكار هدامة وترويج للعنف والجريمة وإشاعة للفاحشة وما تبثه من مشاهد جنسية فاضحة تطلقها آلاف المواقع المتخصصة في تدمير قيم الأخلاق ووأد الحياء.

ومن هنا يأتي التساؤل الأساسي لهذه الورقة البحثية، وسط هذا الزخم الكبير من التقدم التكنولوجي في شتى مجالات الحياة وخاصة في نمط وسائل الاتصال والذي مفاده:

بما أن المجتمع الجزائري ليس بمنأى عن هذا التغير وما تفرضه العولمة والتطور التكنولوجي الحديث من تغيرات وزيادة في المتطلبات والحاجات الاجتماعية والثقافية ، فهل أثرت وسائل الاتصال الحديثة على القيم الأصيلة للشباب الجزائري؟

ويتفرع عن التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية والتي تعتبر كمحاور لهاته الدراسة البحثية:

1-ما المقصود بوسائل الاتصال والقيم؟

2-ما هي مستجدات وسائل الاتصال الحديثة في عصر العولمة وتأثيراتها على القيم المعنوية لدى شبابنا الجزائري؟

أولا:ماهية وسائل الاتصال :

1-تعريف الاتصال:

الاتصال كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني Communis، أي Comman في اللغة الانجليزية ومعناها مشترك أو اشتراك، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن نحاول أن نؤسس اشتراكا مع شخص أو مجموعة من الأشخاص، أي أننا نحاول أن نشترك في المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات.

ولقد أكد"كولي"أن اللغة وحدها لا تنشئ الرموز العقلية وحسب،بل ان كل الموضوعات والأفعال هي رموز عقلية أيضا والاتصال هو من الوسائل التي بواسطتها يعمل العقل على نمو الطبيعة البشرية الحقة وهكذا يمدنا مصطلح الاتصال بأساس جوهري لفهم الظواهر النفسية والاجتماعية التي يمكن تسميتها بظواهر التخمين.[1]

وتعرف"Isabelle orgogozo" الاتصال بأنه"نشاط تبادل غير متوقف وغير محتمل أحيانا، يكون بين اثنين أو مجموعة وحدات(فردية،تنظيمية،اجتماعية) ويبحث عن تغيير السلوكات عند الفاعلين للتقليص من الشك الناتج عن اختلاف الوحدات عن بعضها".[2]

وفي هذا الصدد يعرف الاتصال حسب عالم الاجتماع"تشارلز كولي" في كتابه التنظيم الاجتماعي بأنه "الميكانيزم الإنساني الذي من خلاله تتواجد العلاقات الإنسانية وتتطور، ويحتوي على جميع رموز الروح ووسائل نقلها عبر الفضاء والحفاظ عليها عبر الزمن،كما يحتوي تعابير الوجه،الاتجاهات،الإشارات،الصوت،الكلمات ،الكتابات،وكل شيء حتى الوصول إلى الفضاء والزمن".[3]

وبهذا فالاتصال يعتبر صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي، ومن الظواهر الاجتماعية القائمة أساسا على التأثير في المواقف والقيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك وأنماط التفكير لأفراد

المجتمع، كما يعمل على بناء تصورات اجتماعية عن الحياة الاجتماعية.وقد يرجع الفضل للاتصال فيما حققته الإنسانية من تقدم على مدى الحقب التاريخية أي أنه يعد أداة التغيير المجتمعي.

2-**وسائل الاتصال الحديثة**: إن وسائل الاتصال الحديثة تعد أبرز أذرع العولمة الثقافية التي تستهدف تنميط الثقافات غير الغربية وإحلال الثقافة الغربية بدلها، بقيمها ومعاييرها التي قد لا تتوافق والنظم الاجتماعية للثقافات غير الغربية. ومن أهم التقنيات الحديثة المؤثرة في ثقافة الإنسان، التلفاز والهاتف وشبكة الانترنت وأصبحت هاته الوسائل الأكثر فعالية من دون منازع، وإن فعالية هذا النظام الجديد للاتصال أدى إلى بروز الثقافة التفاعلية، وهذا ما يبرر مدى التفاعل الجدلي بين القيم الأصيلة والمكتسبة بواسطة وسائل الاتصال الحديثة.وعلى الرغم من ذلك فلا مانع من أن نعيش عصرنا، وأن نتعامل مع المنطلقات الحضارية لهذا العصر لأنه لا يمكن فصل الشباب عن موجات العصرنة في العالم ، لكن علينا حماية الشباب دينياً واجتماعياً ونفسياً وثقافياً ولغوياً،من خلال التحصين الثقافي النابع من العقيدة.

ومن أهم وسائل الاتصال الحديثة التي ستركز عليها هاته الورقة البحثية هي كالآتي:

2-1/**الهاتف النقال**: الهاتف النقال عبارة عن جهاز اتصال صغير الحجم مربوط بشبكة للاتصالات اللاسلكية والرقمية تسمح ببث واستقبال الرسائل الصوتية والنصية (الصوت) والصور عن بعد بسرعة فائقة ، ونظرا لطبيعة مكوناته الالكترونية واستقلاليته العملية، فقد يوصف" بالخلوي "أو" بالنقال" أو" الجوال "أو" المحمول"، ومعروف أن الهاتف النقال الحالي هو الشكل المتطور للهاتف التقليدي" الثابت ".[4]

وهو لا يقل أهمية عن غيره من الأدوات والوسائل الاتصالية التي يتهافت عليها شبابنا بحيث أنهم أصبحوا يشعرون بأنهم لا يستطيعون الحياة بدون النقال وهذا يعبر على سلوك الإدمان الخطير، كما أصبح الهاتف المحمول بمثابة الحبل السري ورمز للاستقلالية لشبابنا.

فبعد أن كان هناك خط هاتف واحد (اتصال سلكي) في البيت، ومعظم المكالمات الصادرة تمر بعلم وضبط الأولياء ، أصبح الآن لكل فرد هاتفه، وبحرية كاملة ذكورا وإناثا

ولمختلف الأعمار، مما يؤدي إلى انعكاسات سلبية أكثر منها ايجابية، بسبب عدم توافق ثقافة استخدامه مع وعي مستخدميه[5].فمثلا الهواتف الذكية اليوم أصبحت مصدر إعجاب و إزعاج وقلق وخوف في نفس الوقت للكثير من أفراد المجتمع، بسبب بعض السلوكات السلبية لمستخدميه، فالبعض يقوم بالتقاط وبث صور الفتيات دون علمهن، فضلا عن ميول المراهقين الشباب إلى تبادل الصور الجنسية وإرسالها إلى الآخرين.

وبالتالي انتشر هذا اللون من السلوك بين فئة كبيرة من الشباب، ليفرز انحرافات سلوكية وأخلاقية بينهم، أما ايجابياته فإن معظم الأعمال أصبحت تتم من خلال الجوال مما أدى إلى توفير الجهد والوقت، فضلا عن أهميته في اطمئنان الأسرة على أفرادها.

2-2/**الشبكة المعلوماتية "الإنترنت"**: تعد الإنترنت وسيلة اتصال مهمة، نظرا لأهميتها في الحياة الاجتماعية اليومية،إذ أصبحت"لغة العصر" بعد أن تحول العالم إلى قرية صغيرة ، يستطيع الفرد فيها الدخول إلى أي مكان وفي أي زمان، وأصبحت الملاذ الوحيد لديمقراطية المعرفة دون أية قيود. كما أنها تعد من أخطر المشروعات كونها تعمل على قولبة السلوك وترسيخ قيم عالمية جديدة، أي أنها ستفسح المجال وتزيد من فرص دخول عادات وتقاليد قد تؤدي إلى إحداث خلل في منظومة القيم، وخصوصا عند شريحة الشباب، لما لهم من دور مهم في المجتمع. وما يضاعف من خطورة شبكة الإنترنت بعدها عن الرقابة المفروضة على وسائل الاتصال والإعلام الأخرى .

يقول "أنثينا تايلور"لا يوجد تعريف شامل للإنترنت إذ ليس هناك شبكة محددة تسمى الإنترنت، لكنها عبارة عن كل شبكات الكمبيوتر المحلية المتصلة ببعضها البعض في جميع أنحاء العالم لتشكل شبكة واحدة ضخمة هي عبارة عن شبكة الشبكات تنقل المعلومات " .

كما أنها وصفت بأنها"وسيلة اتصال تختزل الوقت والمسافات، وأنها ستجسد خلال الألفية الثالثة في إطار العولمة لتسمح للمشتركين فيها في كل أنحاء العالم بالتحاور فيما بينهم وتبادل المعلومات، إنها أحدث وسيلة اتصال تختزل الوقت والمسافات، وتساهم في رفع مختلف الحواجز التي تمنع التداول الحر للمعلومات إرسالا واستقبالا سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الهيئات"[6].

- **أخطار استخدام شبكة الإنترنت**: سنهتم بتوضيح أخطار استخدام شبكة الإنترنت على فئة الشباب لاعتبارها أكبر شريحة يتشكل منها مجتمعنا الحالي، ولأن نهضة المجتمعات البشرية مبنية بشكل مباشر على هذه الثروة البشرية المتمثلة في فئة الشباب وكونها أكثر فئات المجتمع تعاملا مع الإنترنت، وقد تم تشخيص بعض الأخطار على النحو الآتي:

أ. **التبعية الثقافية**: إن من أهم الأخطار الكامنة في استخدام الشباب لشبكة الإنترنت ما يمكن تسميته بالاكتساح الثقافي الهادف إلى إحلال التبعية لثقافة الغرب محل الأصالة النابعة من عقيدة الأمة ومرجعيتها الثقافية، والناظر فيما تنقله شبكة الإنترنت من أفكار ومعلومات يدرك أن- المجتمعات النامية وجلها من العرب والمسلمين - تعاني من حرب حقيقية ، حيث وصفها "عرب يونس""بأنها حرب حقيقية تستخدم فيها القنابل الإلكترونية بديلا عن قنابل البارود، إنها تدمير للثقافة وسعي لمنع التواصل بين أبناء الأمة العربية وهيئاتهم، ومنع تواصلهم جميعًا مع قضاياهم المصيرية ولهذا كانت هذه الحروب حروب أدمغة لا أسلحة"[7].لقد حملت وسائل الاتصال الحديثة- ومنها شبكة الإنترنت -عولمة ثقافية متناقضة، فهي من ناحية تدعو- شكليًا -إلى حقوق الإنسان التي تعني الاعتراف بالتنوع الثقافي، ومن ناحية أخرى تدعو إلى حتمية انتصار القيم الفكرية والسلوكية الغربية لا سيما الأمريكية، وإلى ضرورة تبعية العالم لهذه القيم.[8]

إن شبكة الإنترنت تعد من أهم وسائل العولمة الثقافية البغيضة التي ساهمت في ضرب القيم الأصيلة لشباب مجتمعاتنا العربية والإسلامية باعتبارهم أكثر فئات المجتمع عرضة للتأثر بما تحمله شبكة الإنترنت من ثقافات معارضة لثقافتهم المحلية بحكم تعاملهم المتواصل مع هذه الشبكة.

ب. **إهمال مصادر المعلومات الأخرى**: لقد استهوت شبكة الإنترنت الباحثين من شباب وغيرهم، وانبهر الكثير منهم بهذه الشبكة السحرية حتى جعلوها المصدر الرئيسي للبحث والقراءة والاطلاع والتسلية، وهذا ما قلّص من ارتياد غالبيتهم للمكتبات العامة والمكتبات الجامعية التي تحوى بين جدرانها كثيرًا من مصادر المعرفة كالكتب والمجلات العلمية والوثائق التاريخية والشفوية.

إن هذه الظاهرة خطيرة جدًا،لأن المعلومات التي يحصل عليها الشباب من الإنترنت كما يصفها "المعوش""هي معلومات سريعة وانتقائية وغير موجهة وغير كافية، قد تساعد الباحث في إشارتها إلى الكثير من المعلومات والدلالات، لكنها في تلخيصاتها لا تفي بالغرض المطلوب، وتبقى العودة إلى الكتاب أمرًا أساسيًا لا يمكن الاستغناء عنه"[9].

ت. **إدمان ارتياد المواقع الإباحية**: عبر "القدهي" عن حالة مدمني هذه المواقع بقوله: " الذين يدمنون المواد الإباحية غالبًا ما تصبح أحوالهم مثل مدمني المخدرات والمسكرات، فبعد حين من الزمن فإنهم يجدون أنهم لا يتمالكون أنفسهم أمام هذا البلاء، وهم على استعداد لإفناء أموالهم من أجل إشباع غرائزهم".[10]

أي أن النظر إلى المواقع الإباحية المخلة بالحياء تؤثر سلبا على قيمنا الإسلامية ،لأنها تؤدي حتما إلى زوال الحياء وانهدام حواجز الدين و الخلق ، فترى الشاب الذي لم يكن يجرؤ على النظر إلى العورات صار لا يستحي من تتبع العورات و يلاحقها هنا و هناك،أما الفتاة المخجولة فلم تعد تحمر من الخجل، و بعد أن كانت تمشي مطأطأة الرأس لا يتعدى طرفها قدمها صارت تحدق في هذا و تنظر إلى ذاك . وفقدان الحياء هو أول الأمر فقط فإذا فقد المرء الحياء صار من السهل عليه التجرؤ على المحرمات بل والوقوع في الرذائل كالزنى و غيرها.

ث. **الاغتراب والعزلة**: صور "المعوش" واقع الاغتراب والعزلة الذي يعاني منه الشباب الذين يتعاملون مع شبكة الإنترنت بشراهة، مما يجعلهم في عزلة عن واقعهم وأكثر تعرضًا للتقليد الأعمى عندما قال" إن الساعات الطوال التي يقضيها الشاب متسمرا أمام الحاسوب الآلي أو الإنترنت من شأنها أن تمتصه كليًا وتسحبه من واقعه إلى واقع آخر أكثر انفتاحًا واتصالا بالعالم الخارجي الذي يبدو بديلا عن عالم الشاب وأهله ومنبته وقيمه وثقافته،إن الخوف كل الخوف أن ينشأ عندنا جيلٌ يعاني من الانفصام في شخصيته، لا يمت إلى واقعه بصلة، ويبقى معزولا عنه بعيدًا من هموم وطنه، بل يبقى معومًا في سماءات أخرى غير سمائه، فتصبح في تركيب شخصيته أمور لا هي إليه ولا إلى مجتمعه وقيمه."ويرى كذلك أن خطورة الانفتاح السريع والمفاجئ على الثقافة الغربية، وعدم استيعاب الشباب للمثل الإسلامية والقيم الاجتماعية المحلية يؤدي بهم إلى التمثل التلقائي بالإنسان الغربي في عاداته وتقاليده وسلوكه العام"[11].

ويشير باحثون آخرون إلى أثر إدمان التعامل مع الإنترنت على العلاقات الاجتماعية، حيث يقول "الهلالي والصقري" "هذا ويؤدي الإدمان أو ما يطلق عليه الهوس الإنترنتي إلى تصدع أو انهيار العلاقات الاجتماعية بمختلف أنواعها، خاصة العلاقات الزوجية والتي أدت وتؤدي أحيانًا إلى الطلاق أو الهجر أو المنازعات والمشاحنات وغيره".إن الاستخدام السيء لشبكة الإنترنت من قبل الشباب وإدمانهم عليها يعزلهم عن أقرب الناس إليهم،ويفسد علاقاتهم مع من حولهم في كثير من الأحيان، ويجعلهم أسرى غربة حالكة تطمس هويتهم وتضعف عقيدتهم وتشوه سلوكهم وتعزلهم حتى عن نفوسهم التي بين جنوبهم.

ج. **التشكيك العقائدي والتردي السلوكي**: إن شبكة الإنترنت تنطوي على مواقع متعددة وموضوعات كثيرة تشكك الشباب في عقيدتهم التي تعتبر الحصن الواقي لهم من التردي الفكري والأخلاقي والسلوكي، كما أن هناك مواقع حوارية متخصصة في إثارة الشبهات حول الإيمان والمعتقد، وهذا الأمر له عواقب ذات أثر سيء في نفوس الكثير من الشباب المسلم، خاصة في ظل ضعف الإعداد الإيماني للشباب، وغياب البرامج التي تحميهم من التأثر بتلك المواقع التي تشكك في المعتقد وتثير حوله الشبهات، و يضاف إلى ذلك ما سبق ذكره من مواقع إباحية تفتك بسلوك الشباب وتساهم في هدمه .

ومن المعلوم أن كلا من مرض الشبهة ومرض الشهوة يفتك بالإيمان والسلوك" وذلك أن القلب يتعرض لمرضان يخرجانه من صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطنة، ومرض الشهوات المردية".ومن المعروف أن الشبهات المثارة على العقيدة الإسلامية تشكل كثيرًا من الشبهات في كلمة التوحيد،أما إثارة الشهوات فهي تقضي على خلق الحياء الذي يعتبر شعبة من شعب الإيمان .وقد صح عن" النبي صلى الله عليه وسلم "أنه قال" الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".[12]

ثانيا: ماهية القيم:

1-تعريف القيم:

أ-عند اللغويين: القيم جمع قيمة وهي مشتقة من الفعل الثلاثي قوم، وكما يقول علماء الصرف لفظ القيمة اسم هيئة من قام يقوم وأصله قومة بالواو،سكنت الواو وكسر ما قبلها فقلبت ياء لمناسبة الكسرة [13].

والقيمة بالكسر واحدة القيم وهو ثمن الشيء، بالتقويم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، ويقال ما له قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت ، ولذا فانه يعبر بالأقام عن الدوام [14]، ومصداقا لقوله تعالى" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ"[15]،أي في مكان تدوم إقامتهم فيه، وعليه يرتبط بالدوام على الشيء الثبات عليه، حيث إن كل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه،و قال تعالى" لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ "[16]، إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به، والقيم الاستقامة" دينا قيما" [17]، ومعناه دينا مستقيما لا عوج فيه.

يشيع في اللغة المعاصرة استعمال " القيمة "و" القيم "للدلالة على الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، ويؤخذ على هذا الاستعمال أنه لم يرد في المعاجم بهذا المعنى، وإنما الذي ورد فيها للفظ" القيمة "معنيان :أولهما :أن قيمة الشيء ثمنه والثاني :الثبات والاستقرار، ومن هنا ترى اللجنة "أن استعمال" القيمة "و" القيم "للدلالة على هذا المعنى المحدث جائز من قبيل المجاز المرسل.[18]

ب-التحديد الاصطلاحي: نجد أن هناك تنوع وتعدد في تعريفات القيم وهذا لأنها حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين باختلاف تخصصاتهم ،لذا سنتعرض لتعريف القيم وفق مجموعة من المنظورات:

القيم في المنظور الإسلامي: تتميز القيم في المنظور الإسلامي من حيث المصدر بمعنى أن القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة مصدر القيم والأخلاق في الإسلام، وتأتي القيم في صورة أمر بالفعل أو أمر بالترك و الكف وهي بهذا تحدد توجهات الإنسان في حياته حيال الأشياء

والمواقف تاركة له مساحة من الاختيار، وأنها تقوم على أساس الشمول والتكامل بمعنى أنها تراعي عالم الإنسان وما فيه و المجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياة الإنسان طبقا للتصور الإسلامي، بمعنى آخر تحدد أهداف الحياة و غايتها و ما وراءها ومن ثم تكون قيمة أي انجاز بشري في تقدير حسابه وجزائه في الدار الآخرة مع عدم إهمال الدنيا،كما أنها جامعة لكافة مناشط الإنسان و توجهاته، تستوعب حياته كلها في جميع جوانبها ثم هي في هذا لا تقف عند حد الحياة الدنيا.وأهمها أنها تقوم على مبدأ التوحيد باعتباره النواة التي تتجمع حولها اتجاهات المسلم و سلوكاته حتى يصل لأهدافه و بهذا تجعل لحياة الإنسان معنى و وظيفة.[19]

القيم من منظور فلسفي: فهناك المثاليون الذين ينظرون للقيم على أنها مطلقة وثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، مصدرها عالم المثل، وهناك الواقعيون والبراجماتيون والوجوديون الذين ينظرون للقيم على أنها تعتمد على خبرة الإنسان وذكائه وتجاربه الحياتية، ولذلك فهي نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان والمواقف التي يتعرض لها، وتقاس أهمية القيم بمدى نفعها والتنمية التي تعود بها على الإنسان، أما الفلسفة الإسلامية فتوازن بين وجهات النظر السابقة، فتؤكد على وجود قيم مطلقة لا تتغير وهى التي ورد فيها نص صريح ووجود قيم نسبية متغيرة تتعلق بحياة الأفراد.[20]

ونشير أنه بالرغم من تعدد الآراء حول المفهوم الفلسفي للقيم وتباينها بين مختلف الفلاسفة والمفكرين إلا أن هذه الفلسفات تتفق تقريبا حول كون القيم معايير موجهة ومحددة لسلوك الفرد والمجتمع.

القيم في المنظور النفسي: حاول هذا المنظور أن يقدم إسهامات نظرية وامبريقية معتبرة في مجال معالجة القيم، ومن ثم بلورة بعض جوانب طبيعتها من خلال محاولة الكشف عن حقيقة مهمة مفادها: أن القيم تلعب دورا بارزا في تكوين شخصية الفرد والتأثير في اتجاهاته المختلفة، وذلك بالنظر إليها كمحدد من محددات السلوك الإنساني، ووفقا لهذا المنظور السيكولوجي فإن التقويم عملية نفسية باطنية تخلع القيم عن الأفعال والأشياء الخارجية بمقتضى الرغبة والاهتمام، التي تعد مصدرا لقيمة الأشياء والموضوعات، غير أن هذا المنظور أدى بأصحابه إلى الوقوع في الحتمية السيكولوجية، تلك الحتمية التي تسوق الفرد بحسب ما يضطرب

به باطنه من رغبة موقوتة يندفع إلى إشباعها، وهنا تنتفي خاصية الالتزام، فلا معيار إلا بما يبعث عليه وجدان اللذة والألم.[21]

القيم في المنظور الاجتماعي: نجد البعض من علماء الاجتماع قد تجنبوا التعامل مع القيم، على اعتبار أن البحث فيها يتسم بالذاتية وأنها بذلك تخرج عن نطاق الدراسة السوسيولوجية، ولكن في الحقيقة بظهور الدراسة السوسيولوجية " لتوماس و زنانيكي "تحت عنوان " الفلاح البولندي "في أوربا و أمريكا عام1918 جاء استخدام مفهوم" القيمة" فغيرت من نظرة علماء الاجتماع، الأمر الذي جعلها تشكل موضوعا ذا أهمية في مجال الدراسات الاجتماعية و أصبحت متغيرا ينبغي الاستناد إليه في تفسير الواقع الاجتماعي بمختلف مظاهره.[22]

ونجد" علي عبد الرزاق جلبي" يعرفها على أنها " مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي، والتي تمثل موجهات للأشخاص نحو غايات ووسائل لتحقيقها،أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلا لغيرها، وتنشأ هذه الموجهات بين الشخصية والواقع الاجتماعي الاقتصادي والثقافي، وتفصح القيم عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة.[23]

ويرى "علماء الاجتماع الغربيين " أن القيم من صنع المجتمع وأنها تعبيرا عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع وتعتبر عنصرا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي، ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحللها ويفسرها ويقارن بين الجماعات المختلفة وتأثير القيم في السلوك.[24] إذن إن أصحاب المنظور الاجتماعي مضطرون إلى دراسة القيم كما تبدو في مجتمع بشري يرتبط بمكان معين وزمان محدد، ويخضع لظروف بعينها، وبالتالي فإن القيم تتطور بتطور المجتمع الذي توجد فيه، وأن أحكام القيمة تقبل الحكم عليها بالصدق والكذب على أساس من الأدلة التجريبية.[25]

2-**وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع**: للقيم وظائف عديدة في حياة الفرد والمجتمع يمكن إيجازها كما يلي :

- **بالنسبة للفرد**: تهيئ القيم للفرد خيارات معينة، فتكون لديه إمكانية الاختيار والاستجابة لموقف معين، فتلعب دوراً هاماً في بناء شخصيته ، كما أن القيم تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه ، لذلك فهي تجعله أقدر وأصبر على التكيف كذلك فإنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان لأنها تقويه على مواجهة ضعف النفس، ومثال على ذلك "بلال بن رباح" الذي جعله الإسلام يسخر ممن كانوا يسمونه سوء العذاب ويصدع بالآذان من فوق الكعبة يوم فتح مكة ، والقيم تدفع الفرد لتحسين أفكاره ومعتقداته ، وتساعده على فهم الآخرين من حوله وتوسع إطاره المرجعي في فهم علاقاته مع الآخرين ، كما أنها تعمل على إصلاح الفرد اجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً وفكرياً وثقافياً ..الخ ، لأن القيم وسيلة علاجية ووقائية للفرد ، كما أنها تعمل على ضبط نزوات الفرد وشهواته ومطامعه، وكل هذه الوظائف يكمل بعضها بعضاً وصولاً إلى مرحلة الرضا "رضي الله عنهم ورضوا عنه " أي رضا الله ورضا النفس .

- **بالنسبة للمجتمع**: تحافظ القيم على تماسك المجتمع ، وتساعده على مواجهة التغيرات التي تحدث كما أنها تربط بين أجزاء الثقافة في المجتمع لأنها هي التي تعطي النظم الاجتماعية أساساً عقلياً ، والقيم تحمي المجتمع من الأنانية والدونية الطائشة ، وتزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى من حوله ، كما أن القيم تجعل سلوك الجماعة عملاً تبتغي به وجه الله تعالى .

و تكامل الوظائف الفردية والمجتمعية فيما بينها تؤدي إلى مايلي :

- بناء الذات الإنسانية القادرة على التكيف الإيجابي مع ظروف الحياة لأداء دورها الحضاري المحدد .

- إعطاء المجتمع الشكل المميز الذي يميزه عن المجتمعات الأخرى.[26]

3-**مصادر القيم**: للقيم مصادر عديدة، وتختلف هذه المصادر من مجتمع لآخر، وفي المجتمع العربي والإسلامي يمكن حصر مصادر القيم فيما يلي :

أ- **الدين الإسلامي**: متمثلاُ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والإجماع والاجتهاد ، وهذا المصدر هو المصدر الأساسي للقيم في مجتمعنا، وإن أخذ التمسك بها يضعف

شيئاً فشيئاً إلى أن يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمور دينها، وقد بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء.وجميع القيم المستمدة من هذا المصدر هي الخير كله ، ومصدر سعادة للبشرية في دنياها وأخراها إن تمسكت بها حق التمسك .

ب- **العصر الجاهلي**: حيث إن هناك قيماً لا زال كثير من الناس يتمسكون بها كانت سائدة في العصر الجاهلي،وبعض هذه القيم قيم إيجابية كالنخوة والشجاعة وإغاثة الملهوف، وبعضها قيم سلبية تضر الأفراد والمجتمع كالعصبية القبلية والأخذ بالثأر.[27]

ت- **التراث الإنساني العالمي**: فنظراً لسهولة الاتصال بين أجزاء العالم أصبح من السهل انتقال القيم من جزء لآخر ، وقد وفدت إلينا كثير من القيم من العالم غير الإسلامي ، وبعض هذه القيم قيم إيجابية نافعة كالمنحى النظامي والتخطيط وهناك قيم سلبية ضارة كالتفكك العائلي وقلة الروابط الاجتماعية .[28]

4-**تصنيف القيم**: لاشك أن البحث في موضوع القيم يثير أهمية تصنيفها رغم التعقيدات المتضمنة في مفهومها، ولقد انعكس الاختلاف القائم في تحديد مفهوم القيم وتفسير طبيعتها على محاولة توضيح مختلف أنماط القيم، وفي هذا المعنى يقول" سورلي""من المستحيل أن تكون هناك قاعدة يمكن على أساسها تحديد كل أنوع القيم"[29]. ورغم ذلك فلقد اهتم الكثير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية بهذه المسألة وقد أصبح تراث هذه العلوم يتوفر على قدر من المحاولات في مجال تصنيف القيم، وإن هذا التنوع يعود بالدرجة الأولى إلى الاختلاف في وجهات النظر والتباين في المداخل الفكرية التي تحاول تحليل موضوع القيم.

ومهما يكن فإننا في هذه الدراسة سنلقي الضوء على بعض نماذج تصنيف القيم كما يلي:

فهناك من العلماء من قدم تصنيفا للقيم مستندا إلى خصائصها كتصنيف "جوليتلي" الذي ميز بين القيم الأساسية والقيم الفرعية، وتصنيف" كيرت لوريس" حين صنف القيم إلى جوهرية وطارئة، أما" كلاكهون " فقدم تصنيف يشير إلى وجود قيم عامة في المجتمع ككل وقيم خاصة بجماعات اجتماعية معينة، وهذا التصنيف يستند إلى معيار درجة انتشار القيم في المجتمع، كما تم تصنيف القيم إلى اتجاهها المرتبط بالنمط البنائي للمجتمع كما فعل" روبرت ردفيلد" عندما ميز

القيم على أساس نوع المجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية المحافظة والمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العقلية العلمانية، كما يوجد هناك من العلماء من صنف القيم بناء على وظائفها الاجتماعية أي ربط كل قيمة بنظام اجتماعي معين كما فعل" ايميل دوركايم "وغيره من أنصار الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع، كما صنفها ""سبرينجر في كتابه "أنماط الرجال"إلى ستة أنواع هي :القيم الدينية، القيم النظرية،القيم الاقتصادية، القيم الجمالية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية.وصنفها عبد الرحمن بدوي إلى ثلاث مجالات : قيم عقلية وقيم جمالية وقيم أخلاقية ،وصنفها البعض على أساس ما هو مادي محسوس وغير محسوس:قيم مادية و قيم روحية .[30]

وقد صنف "عبد الحميد الهاشمي وفاروق عبد السلام" القيم إلى:

-قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه - قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه - قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين .

أما "أبو العينين" فقد صنف القيم إلى:

1- قيم روحية وعقدية كحب الله والإيمان بالله والجهاد في سبيل الله .

2- قيم خلقية كالعدل والأمانة والصدق وإكرام الضيف والعدل والتعاون .

3- قيم عقلية تتصل بالمعرفة وطرق الوصول إليها كاستخدام التجربة والتفكير الناقد.

4- قيم وجدانية وانفعالية كالحب والكره وضبط النفس عند الغضب.

5- قيم اجتماعية مثل بر الوالدين والتكافل الاجتماعي والإحسان للجيران .

6- قيم مادية تتصل بالعناصر المادية كالاعتناء بالجسم والاقتصاد في الإنفاق .

7- قيم جمالية تتصل بالتذوق الجمالي وإدراك الاتساق في الأشياء والاعتناء بالمظهر والنظافة والنظام.[31]

الرؤية السوسيولوجية لأثر وسائل الاتصال الحديثة في عصر العولمة على القيم الموروثة والمتأصلة لدى شبابنا واستبدالها بقيم مكتسبة :

صار من المؤكد أن للعولمة تأثيراتها الفعالة على المجتمعات المعاصرة ، وتمثلت أبرز تأثيراتها في محاولة تكوين شخصية معولمة، إذ سعت العولمة إلى محاولة القضاء على الإرث الإنساني المقدس بالنسبة لنا كعرب ومسلمين وذلك من خلال العمل على تعميم القيم الغربية وخاصة الأمريكية، وذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي.

لقد اقترب العالم مع بعضه البعض، فلم يعد مجرد قرية صغيرة كما وصفها " مارشال ماك لوهان "فقد أصبحنا نعيش في غرفة واحدة أو بناية واحدة محدودة المعالم والأبعاد كما جاء على لسان المفكر الإيطالي" تشارلز بلاك "حيث يرى أن الأزمنة والأمكنة والحدود الجغرافية لم يعد لها أي اعتبار في ظل ما جاءت به وسائط الاتصال والإعلام الحديثة، من وسائل وتقنيات جديدة أذهلت الإنسان ، وكل ذلك غير سواء شئنا أو أبينا وسيغير بسرعة غير مسبوقة اقتصادنا و سياستنا وتربيتنا وقيمنا وأخلاقنا على نحو من الأنحاء. وأحسن مثال على ذلك هو مجتمعنا الجزائري فخروجه من عزلته و دخول وسائل الاتصال الحديثة إليه بشكل واسع وعلى نحو مفاجئ بدون مراحل ثقيفية تمهد لاستقبال العناصر الثقافية القادمة، حملت معها نسبة من القيم والعادات والتقاليد والأفكار والسلوكيات، عملت على إحداث تغيير في منظومة القيم التي تشكل أساسا للنسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع، وتجلى ذلك جليا في حياة الفرد الجزائري، فشبابنا اليوم قد وجدوا أنفسهم في ضوء تكنولوجيا وسائل الاتصال والإعلام الحديثة ملزمين عن التخلي عن بعض قيمهم من أجل التأقلم مع ما جاءت به هذه الثورة التكنولوجية من قيم ومبادئ جديدة باسم التفتح. لكن للأسف الشديد أن ما يعاني منه شبابنا اليوم من فراغ روحي وفكري أدى بهم إلى سوء استخدامهم لوسائل الاتصال والإعلام الحديثة وعلى رأسها" الهواتف الذكية وشبكة الإنترنت"، إلا أننا لا ننكر أن كثيرا من شبابنا يحسنون استخدامها لكن لا ينبغي أن نغفل عن شريحة واسعة منهم يسيئون استخدامها، بحيث نجدهم يبحثون فيها عما يثير شهواتهم ويقتل أوقاتهم ويبدد طاقاتهم.

وسبب اهتمامنا بشريحة الشباب كونهم لب الثروة البشرية في المجتمعات ككل، كما يمثلون مرحلة العطاء والإنتاج والفاعلية في عمر الإنسان ولذلك أوصى" النبي صلى الله عليه وسلم" باغتنام هذه المرحلة فيما ينفع النفس والمجتمع، بالإضافة إلى أن فترة الشباب تعتبر أكثر مراحل العمر حساسية و تأثرا بنتائج التغيرات الاجتماعية السريعة التي تحدث في المجتمع، إذ أن هذه التغيرات قد تحدث تناقضا بين قيم الشباب من جهة والنسق القيمي للمجتمع من جهة أخرى.

ونجد أن وسائل الاتصال الحديثة وفي مقدمتها" الإنترنت والهواتف المحمولة"، تلعب دورا كبيرا في التأثير على الجانب الثقافي والقيمي لشبابنا، وذلك لما تنقله معها من قيم وسلوكات ومعارف وأخلاقيات جديدة غريبة عن الثقافة السائدة داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية والجزائرية بالخصوص التي يعيش فيها شبابنا، وهذا كله نتيجة غياب الرقابة والضوابط على هذه الوسائل، وهذا ما أدى بهم إلى الوقوع في الازدواجية الثقافية والتناقض بين واقعهم المعيش وبين الواقع الذي تجسده التكنولوجيا الحديثة ، وهذا ما خلق لدى شبابنا حالة من الصراع القيمي.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن هناك عوامل عديدة أدت إلى بروز الصراع القيمي الذي يضرب في عمق المجتمع في عصرنا الحالي، وبالأخص في أهم شريحة فيه وهم الشباب، ولعل أكثرها تأثيرا هي تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة، هذه التكنولوجيا التي أصبحت لا تعترف لا بالحدود الزمانية ولا المكانية، وإنما هي في تطور مستمر وسريع جدا إذا ما قورنت بالماضي القريب، لقد أصبحت هذه التكنولوجيا بمختلف وسائطها الاتصالية والإعلامية لها دور كبير في التأثير على سلوكات وقيم شبابنا الذي أقبل عليها ، وهذا لأنها لا تحترم القيم السائدة داخل مجتمعاتنا، ولذا بإمكاننا القول أنها تعد السبب لما يحدث لشبابنا اليوم. من انهيار للقيم الموروثة مقابل التمسك بقيم دخيلة علينا مع ذوبانه في ثقافة الآخر، دون التفريق بين ما هو ايجابي وسلبي، وهذا ما يطرح مشكلة ظهور قيم وعادات جديدة منافية كلية لما هو سائد داخل المجتمعات الإسلامية والعربية، وهذا ما نلاحظه اليوم في مجتمعنا الجزائري .

وحسب "زكي نجيب محمود" أنه من الثابت أن هناك جانبين للقيم : قيم المحور المتمثلة في القيم الدينية بما يشتمل عليه من قيم وميراث ثقافي وحضاري، وتعتبر ثوابت مميزة لهوية المجتمع العربي والإسلامي فلا يعتريها أي تغيير، أما الجانب الثاني فيتمثل في قيم التفاعل الحضاري والعمل والإنجاز، وهى قيم وسيليه يعتريها التغيير طبقاً لمستجدات العصر، ومن هنا تتمثل خطورة العولمة في محاولة التأثير على قيم المحور، وذلك من خلال نشر الفكر الغربي الذي يعمل على تغيير تلك القيم الثابتة ومحاولة إقناع أن الذي يتمسك بقيمه إنما يتعارض مع التقدم العلمي والفكري ونهضة العقل.[32]

وإننا بهذا الطرح نود التركيز على أثر هذه الوسائل الاتصالية الحديثة على "القيم المعنوية" التي تعكسها سلوكاتنا والتي نستمدها من قيمنا الدينية والتي بدورها تستمد قوتها وإلزامها من العقيدة الإسلامية كما أنها تعطي للإنسان معنى لوجوده ورسالة في الحياة ، وتعتبر صمام الأمان بالنسبة لشبابنا إذا أراد المحافظة على هويته وثقافته وأصالته من الاندثار والذوبان في ثقافة الآخر، إلا أن هذا ليس بمانع لشبابنا من الإطلاع على كل ما هو جديد في الثقافات الأخرى والاستفادة منها، ولكن بشرط الحفاظ على سلم القيم التي مصدرها الأساسي الإسلام.

فمن المظاهر السلوكية السلبية لشبابنا اليوم هو "عدم الالتزام بقيم الحياء" في عدة مواضع سواء في المظهر أو الملبس أو الكلام ...الخ، وهذا بسبب ما أنتجته القيم الحديثة المكتسبة من وسائل الاتصال الحديثة والتي تتجسد في"الإنترنت" التي تمثل محكًا دقيقًا وخطراً يتحدى الشباب في كل لحظة يستخدمها فيها، إذ أن حركة لطيفة وسريعة" بالماوس" يمكن أن تنقلهم إلى مواقع علمية مفيدة أو تهوي بهم إلى درك الرذيلة (المواقع الإباحية) ، بالإضافة إلى "الهواتف الذكية" التي أصبحت أداة متعددة الأغراض لها القدرة على إرسال واستقبال الصوت والصورة وتلقي المعلومات...الخ مما يفتح عهدا جديدا لنظم الاتصال الشخصي.

لماذا مصطلح "الحياء" بالذات لأنه يعكس طبيعة الإنسان، و يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه وقد أوصى الإسلام بالحياء، وجعل هذا الخلق السامي أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل يقول "صلى الله عليه وسلم"" الإسلام بضع وسبعون شعبة، أفضلها قوله لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان."رواه البخاري.

لكن للأسف تفحصنا لواقع شبابنا اليوم يوحي لنا بأنه: لا نقول انعدام الحياء لأنه لازال سمه متأصلة لدى البعض من شبابنا، بل اندثار الحياء بسبب اندفاع شبابنا نحو الوسائل الحديثة فمثلا ما نلاحظه اليوم هو الاستخدام المفرط و اللامعياري "للهواتف النقالة" من قبل الشباب(إناث وذكور) فتجدهم يتكلمون في الأماكن العمومية كالشارع والأسواق، ودور العلم داخل القاعات الدراسية وأروقتها،في شتى المواضيع دون إعطاء اعتبار للآخرين، وكذا الاستماع إلى النغمات بصوت مرتفع يصل إلى حد الإزعاج وكأنه إذاعة متنقلة...الخ، هذه المظاهر التي لم تكن موجودة في سلوكياتنا ، خاصة بناتنا اللاتي أصبحن يتكلمن في الهاتف بصوت مسموع للآخرين، ممزوج بضحكات وعبارات مخجلة والذي يلقى استنفارا واستهجانا من غالبية أفراد المجتمع بوصفه سلوكاً غير مقبول ومخلا بحياء المرأة و حُرمتها...الخ، وهذا كله يعكس اقتباس شكل العنصر الثقافي دون مضمونه ووظيفته الحقيقية التي اخترع من أجلها، ألا وهي المساعدة في قضاء حاجات الأفراد، وعدم استخدامه بشكل سيء ومفرط. وقد يعود سببه إلى العزلة الاجتماعية والثقافية للمجتمع في المرحلة السابقة، وكذلك الفهم الخاطئ لمفهوم الحرية الشخصية وحرية الرأي والتعبير والديمقراطية وحقوق الإنسان التي صدرت إلينا، في واقع مرير تنتهك فيه المقدسات والمحرمات على أيدي دعاة الحرية وحقوق الإنسان.

وكذلك "شبكة الإنترنت"التي أصبح الإقبال عليها كبيرا جدا من قبل شبابنا،وهذا حسب ما نشر بقلم "لمياء ح"في يومية الفجر للسنة الجارية، بحيث كشفت عن دراسة حديثة تشير أن الشباب والمراهقين هم الأكثر استغلالا للإنترنت بنسبة 74%وأن ثلثهم يلجؤون إلى استخدامها باستعمال الهواتف الذكية.كما نشرت جريدة الشروق مقال بقلم "إيمان ب" في 2015/05/28 مفاده أن الجزائريون سلبيون في استخدامهم للإنترنت لأنه يقتصر خصوصا على التواصل بالرسائل الالكترونية بنسبة82.6 % وغرف الدردشة بنسبة42.5%.ومن هنا نستطيع القول أن هذا ما أثر على قيم ومبادئ هؤلاء الشباب الذين تركوا العنان لأنفسهم في استخدامهم لهذه الشبكة العنكبوتية بطريقة غير لائقة، وعمل على زعزعة القيم النفسية والفكرية والثقافية للقوى المسيطرة في وعيهم ، مثلا مشاهدة المواقع الإباحية هذه الظاهرة التي أصبحت منتشرة في مجتمعنا اليوم،وهذا حسب ما أشارت له جريدة الشروق بقلم"بلقاسم حوام" بحيث أن الجزائر صنفت الخامسة عربيا في تصفح المواقع الإباحية حسب تقرير موقع "ألسكا"سنة2013،وأن تصفح هذه

المواقع في الوطن العربي تجاوزت الحدود بمعدل 55مليون موقع إباحي و24مليون بحث عن كلمة جنس شهريا وهو الأمر الذي لم تسجله أمريكا ولا دول الاتحاد الأوربي.كما أشارت"ح سامية "في مقال نشرته في الحوار في سنة 2010 بأن 65%من الشباب الجزائريون يبحرون في هذه المواقع. لذا فان النظر إلى المواقع الإباحية و الصور الخليعة يؤدي حتما إلى زوال الحياء وانهدام حواجز الدين و الخلق، فترى الشاب الذي لم يكن يجرؤ على النظر إلى العورات صار يتتبعها و يلاحقها هنا و هناك،أما الفتاة المخجولة فلم تعد تحمر من الخجل، و بعد أن كانت تمشي مطرقة الرأس لا يتعدى طرفها قدمها، صارت تحدق في هذا و تنظر إلى ذاك و تتابع بنظرها السيارات والمارة . وفقدان الحياء هو أول الأمر فقط فإذا فقد المرء الحياء صار من السهل عليه التجرؤ على المحرمات بل و الوقوع في الرذائل كالزنى و غيرها.

كما أشار "حيدر حميد" أن الإنترنت غيرت القيم الإعتقادية(الدينية) بإحلال عبادة الكمبيوتر أو الآلة الإلكترونية ما أسماه "روجيه غارودي" عبادة الكمبيوتر بدل (عبادة الله)، وأثرت على القيم التربوية بتغيير وتبديل مناهج التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب ومناهج متحررة جدا تناسب عصر العولمة، وجعلت من الذاتية بديلا عن كل قيم الضمير، وصيغت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس[33].

وكما أشار "محمد جاد أحمد"إلى دور الشبكة المعلوماتية في تكوين جيل من الشباب متصدع النفس، منطلق مع الشهوة متقلب من القيد، شباب يعيش ليله ونهاره مشتت الذهن، لا يفكر إلا في غرائزه ولا يطمح لشيء إلا لمجرد إشباع رغباته العارمة ضاربا بكل التقاليد الاجتماعية والمعايير والقيم الأخلاقية، والمبادئ الدينية عرض الحائط." [34]

وهذا هو بيت القصيد أو بالأحرى الهدف الذي تصبوا إليه هذه التكنولوجيا أي أنها تعمل على إحداث اضطرابات متنوعة في سلوكات و أفكار وقيم الشباب التي منبعها الثقافة الإسلامية. ولذا لا ينبغي على المجتمعات المسلمة أن تقف مكتوفة الأيدي حيال هذه الظاهرة، بل لا بد من الأخذ بيد الشباب إلى بر الأمان وتحصينهم من الغزو الثقافي والاجتياح الأخلاقي والانحراف السلوكي الذي يؤثر على الشباب تأثيرًا يبدد طاقاتهم ويضيع أوقاتهم.وذلك بأن نستثمر في هذه الوسائل الاتصالية بما يعود بالنفع على شبابنا. مصداقا لقوله تعالى "وَلَكِنَّ اللَّهَ

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ" [35] ، أي أنه سياج القيم الذي يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي ويزوده بالطاقات الفاعلة في الحياة ويبعده عن السلبية وبدون هذا السياج يكون الإنسان عبدا لغرائزه وشهواته التي لا تقوده إلا للدمار والفناء، أي أن قيم الفضيلة تمكنه من التفاعل الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة، فأهدافه واضحة،ومساراته بينة، وقناعاته مبصرة ومنظومته القيمية مسيطرة، وهو ينتقل من نجاح إلى نجاح، أما عندما تسيطر القيم السلبية على الإنسان فإنها تورثه العجز والضعف وسوء الحال، فأعماله سيئة وأفكاره سيئة، وهو ينحدر من فشل إلى فشل، فيفقد ثقته في نفسه وتقديره لها، ويقول في هذا "صلى الله عليه وسلم"" الْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ".[36]

في الأخير نقول أن استعراض هذه الأمور لا يعني القنوط واليأس، أو أنها دعوة إلى تثبيط العزائم والهمم، ولا إنكارا منا للجوانب الايجابية لهذه الوسائل الاتصالية الحديثة ،فقط علينا أن نتسلح بوعي أخلاقي وفكري حتى نستطيع أن نستخدمها بطريقة سليمة وناجحة في جميع شؤون حياتنا وبحيث لا يكون لها تأثير سلبي على قيمنا ومبادئنا النبيلة. وتحصين النشء بالقيم والأخلاق والعقيدة الإسلامية الصحيحة ، وترسيخها لديهم حتى يواجهوا بثبات هذا التيار الجارف ،وبهذا يتم تحصين الفرد والمجتمع من تيارات اللاقيمية الوافدة إليه من المجتمعات الغير إسلامية .

الهوامش:

* نشر في موقع جزايرس بقلم "لطيفة زهية ر س م" في سنة 2012 أن الجزائر تصنف في المرتبة 45 عالميا في استخدام "الفايس بوك".إلا أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت خطرا رغم ما تقدمه من خدمات،لأنها عملت على كسر الحواجز الأخلاقية لدى الجزائريين وحطمت القيم والمفاهيم التي نشؤوا عليها، فمثلا الظواهر الإجرامية التي أصبحت تكتسح المجتمع الجزائري باستخدام هذه الوسيلة كالتشهير والابتزاز والمساومة وتشويه السمعة .

[1] منال طلعت محمود، مدخل إلى علم الاتصال، بدون دار نشر:جامعة الإسكندرية، 2002م، ص.20.

[2] Isabelle orgogozo .les paradoxes de la communication à l'écoute des différences .Ed. organisation paris.1988.p10.

[3] Roger Mucchilli.communication et réseaux de communication. Ed. ESF paris.1980.p33

[4] فضيل دليو، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، مخبر علم الاجتماع الاتصال، جامعة منتوري:قسنطينة،2003م، ص. 180.

[5] عبد الرزاق محمد الدليمي ، الإعلام والعولمة، دار مكتبة الرائد العلمية للنشر:الأردن، 2004م، ص.32.

[6] محمود إبراقن،الانترنت دراسة اتصالية ومصطلحية،مجلة مركز البحث في الإعلام الآلي،العدد1999،1م،ص.27 .

[7] حمدان عبد الله الصوفي ، تصور تربوي مقترح لمواجهة أخطار استخدام شبكة الانترنت لدى فئة الشباب بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الأول "التربية في فلسطين وتغيرات العصر"، كلية التربية في الجامعة الإسلامية،نوفمبر 2004م، ص.959.

[8] زكريا بشير إمام ، في مواجهة العولمة، مكتبة مجدلاوي: عمان، 2000 م، ص.171.

[9] المعوش، وسائل التقنية وأثرها في الشباب وسبل استثمارها(الإنترنت نموذجًا)، المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان" الشباب والانفتاح العالمي"،الرياض،2002م،ص.188.

[10] حمدان عبد الله الصوفي،مرجع سبق ذكره، ص.962.

[11] المعوش، مرجع سبق ذكره،ص-ص.177-183.

[12] حمدان عبد الله الصوفي،نفس المرجع السابق،ص- ص.964 -965 .

[13] ناصر الدين الأسد ،نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه، دوريه أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر مطبعة المعارف الجديدة: الرباط ، 2000م، ص. 51.

[14] مساعد بن عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية،دار العاصمة للنشر والتوزيع: السعودية ، 1414ه، ص.23.

[15] سورة الدخان،الآية:51

[16] سورة آل عمران، الآية:113.

[17] سورة الأنعام، الآية :161.

[18] إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية،دار الكتب العلمية: بيروت، 2004م، ص.314 .

[19] علي خليل مصطفى أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية:دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، مكتبة إبراهيم حلبي: المدينة المنورة ،1988م، ص.86.

[20] محمد عبد الرازق إبراهيم،هانى محمد يونس موسى،القيم لدى شباب الجامعة فى مصر ومتغيرات القرن الحادي والعشرين، كلية التربية:جامعة بنها،ب س،ص4.

[21] مراد زعيمي ،النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع:جامعة قسنطينة ، 1997 م، ص. 223.

[22] محمد أحمد بيومي،المجتمع و الثقافة و الشخصية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية،1986م،ص.65.

[23] علي عبد الرزاق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 1988 ،ص.134.

[24] محمد سعيد فرح ، البناء الاجتماعي والشخصية، المطبعة المصرية للكتاب: الإسكندرية،1980 م، ص ص.381،380.

[25] صلاح قنصوة ، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر: القاهرة، 1981م،ص ص .66،65.

[26] فؤاد علي العاجز،عطيه العمري ، القيم والتربية في عالم متغير، دراسة مقدمة إلى مؤتمر كلية التربية والفنون حول"القيم وطرق تعلمها وتعليمها"، جامعة اليرموك: الأردن، 1999م، ص ص.13،12.

[27] هاشم محمد سعيد عبد الوهاب ، دور المعاهد التقنية في مجتمع عربي متغير، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، العدد 5-6، 1986م ، ص. 82.

[28] الناشف عبد الملك ،القيم وطرائق تعليمها وتعلمها، دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث: عمان الأردن، 1981م، ص.82.

[29] فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية : بيروت ،1980 م، ص. 73.

[30] طهطاوي سيد أحمد ،القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي: مصر ، 1996م،ص.46-48.

[31] بلقيس أحمد ، الاتجاهات وطرائق تعديلها وقياسها في التعليم المدرسي، دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث:عمان ،الأردن ، 1986م،ص.12.

[32] زكى نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر ، دار الشروق للنشر والتوزيع: القاهرة، ط3، 1982م، ص. 160 .

[33] حيدر حميد الدهوي، العولمة والقيم ، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق ،2002م،ص.35.

[34] محمد جاد أحمد، الإعلام الفضائي وآثاره التربوية ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع: الإسكندرية، م 2008م،ص.104.

[35] سورة الحجرات،الآية:7.

[36] ماجد زكي الجلاد،تعلم القيم وتعليمها :تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة للنشر والتوزيع: بدون بلد نشر،ب س ن ،ص ص.43 ،44.